لمياء

محمود السانوسي عبادي ـ مصر

كل هذا الخوف ويحبني ! لو كان يحبني لكان أكثر جرأة

-يحبك يا لمياء – يحبك

آه – أشعر أنني ملكة على مملكة لا بشر بها ، لو تكلم – يكفي أن يتقرب إليّ كما تتقرب الفراشة إلى الزهرة، سأصير فواحة بالهمس سأفضح خجله سيتكلم، صدقيني يكفي أن يقترب ليحترف الكلمات التي تقال في أول لقاء، سيكون معصورا من الوله ومنسابا كفجوة نورانية اخترقت حجرة مظلمة، يملئني!

آه لو أشرق على ملامح عشقه، نفوذه يسكنني، أتكلم كأنني منشورة على صفحة ماء، أتموج دهشة، أتكرر إرادة، لكن كيف يحدث هذا، لا يملك هذا الشاب إلا العين التي تجعلني مصابة بدوار البحر كلما تلصصت إلى قبوهما، أرى نفسي شجرة تهزها عاصفة عينيه فأصبح أكثر رقة ونعومة، وبعد ذلك هل ستحتملين الحب الذي يقف منتصبا دون حراك ربما لو لم تكوني نشرتي الخبر وقصصت على كل صديقاتك حبه العنيف حتى أنك لم تستحي بكل فخر وكبرياء أن تذكري أن هذا الشاب يتآكل حبا لك، هذا ما وصل إلى والدتك وعمك وأبيك وأخيك ماندو فهل بعد أن أصبح الشاب حديث المدينة يمكنه أن يجرؤ على اتخاذ أي خطوة تجاه عاطفته، صدقيني لقد تصرعت وما كان من المستحب فضح مشاعر الفتى بكل

تلك المكاشفات المجانية، نظرت لمياء إلى صديقتها محاولة التبرير فكل ما حدث كان من بهجتها وكان من جراء ما تلقاه من خجل مبالغ فيه وكان مبلغ ظنها أن يشعر حامد بأنه مرغوب فيه وأن ما يهابه صار يعرفه الجميع، أعلم أنه أنهى دراسته الجامعية وهو الآن يعمل في مشروعه الخاص ببقالة وغلال فما المانع ما دام شابا جيدا أن يتقدم لخطبتي ظننت ذلك سهلا لا أعرف لما هو هكذا لا يثق في نفسه ولا في إمكانياته شاب جيد أؤكد لك يا يسرية أنني كنت سأشجع والدي على قبوله، حتى ولو لم يكن لديه إمكانيات الزواج سأنتظره السنوات أبي من الممكن أن يساعده قالها لي صراحة وأنا أشرح له نظرات الفتى وطريقته في الارتباك كلما مررت عائدة من المدرسة الفنية بصحبة زميلاتي كيف يحمر وجهه خجلا كيف يتشبث كالغريق ويفقد وزنه كأنه يطير من على الأرض ويختفي في صمته وحياءه بين بضاعته يشغل أصابعه بالعبث في حبات الفاصوليا الجافة أو الأرز ويتنقل من قفة إلى أخرى حتى ينتهي المشهد بعبوري كأني أنا ملكة وهو جمهور يودعني في تشريفة ولاء وانتماء ومحبة ، آه يا أبي – عودتني على الصراحة أنا مبهورة بهذا الإحساس فماذا أفعل؟

-قلت له ذلك ؟

طبعا ! – أبي سائق في شركة سياحية ورأى وتعلم الكثير؛ متحضر بما فيه الكفاية ليستوعب أن ما أشعره ليس مخجلا وأن هذا الفتى مقبل على أزمة عاطفية لو لم يتدخل بحكمة الأب، يسرية - أنا لا أبحث عن عريس فأنت تعلمين أن من

تقدم لي يعتبر بمثابة فرصة لبنات كثيرات وليس واحدا فقط بل خمسة شباب مؤهلين ومن عائلة ويمتلكون المال والمنصب رغم أنني ما زلت في الصف الثاني الثانوي من التعليم الفني، آه صدقت قالتها يسرية وهي تتأمل قوام لمياء الطويل وسمار بشرتها وجاذبية كل تفصيلة كأنما خلقت لتفتن الشباب بينما هي لم يكن لها نصيب من الجمال إلا القليل لكن هذا لا يمنع أن تتألم لصاحبتها ما دامت تكرث مشاعرها لهذا الحب العظيم، لم يكن أمام لمياء إلا أن تحرض هذا الفتى على الإفصاح عن مشاعره بعدما رأته يفتعل التجاهل في أول أيام العام الدراسي وهي عائدة لتري زميلاتها ذلك الولهان وهو يتموج من العاطفة التي ذوبت أعصابه، فإذ به يصدمها ولم يعد يخرج من المحل ليتابعها وهي تتمخطر إلى أن تنعطف مع دخولها للشارع التالي، هكذا قررت أن تعاقبه أو تختبر مشاعره في حالة من الغضب والإنكار ربما يسقط في تلك المرة وتنساه للأبد أو يستجمع شجاعته فيقترب ويعترف بهذا الإصرار العاطفي المتوهج ، إن الأيام كفيلة بإثبات كل شيء وعلى يسرية أن تقوم بدورها تتابع في كل يوم تمر به من الشارع ترتدي الذي الكحلي ذاهبة وعائدة من المدرسة انفعاله ونظراته المتفحصة المشتاقة لربما تكون أخطأت أو حنت وقررت أن تمر من الشارع بين صديقاتها لكن إصرار لمياء على المرور بشارع غير الشارع الذي يرابط فيه العاشق منتظرا في محبة عنيفة وعنيدة مرورها هي لا تمر وهو لا يتكلم يتآكل فقط ، هذا ما قالته يسرية بينما عينها ترقب وجهه المتداعي من العشق والشوق ، رافعة صوتها ليسمعها لربما يعالج نفسه بنفسه ، فقد رأت وأحست قسوة

صاحبتها على هذا الشاب الطيب فزعقت معترضة معبرة عن استنكارها لهذا الإجراء اللاإنساني ، " منك لله يا لمياء ".

فضحكت الفتيات العالمات بالقصة من أولها حتى قرار الحرمان من الرؤية اليومية ، اللقاء العابر الذي لا يتجاوز الدقيقتان يبتهج ابتهاج العيد ويفرح كأنما ولدت السعادة لمدة دقيقتان ثم يتجلط ككتلة وقت منتظرا الغد على ألا يكون غد هو يوم الجمعة أجازه دراسية إلا أنها في أيام كثيرة لم تكن لتحرمه من رؤيتها حتى في تلك الأيام التي لا دراسة بها فتمرق من أمامه بصحبة أمها أو زوجة عمها أو أخيها مشتركين جميعا في التلفت إليه والضحك من حبه المثالي ونظراته الولهانة، ثم لا يزال مبتهجا حتى تنتهي سطوة حضورها من أمامه.

كيف يا لمياء يقسو قلبك حتى تدمري هذا الشاب ؟ ماذا ؟ ألا تعلمين ماذا فعل ؟ ماذا ؟ انهار تماما ؛ ترك المحل لأخيه الأصغر واعتكف في المنزل لا يخرج ولا يدخل ، سمعت من شباب المنطقة أن شجارا نشب بينه وبين أهله على تكاليف إضافية لتحسين المحل أظن أن هذا الخلاف مفتعلا ليجدها حجة فيترك المحل ، انه في حالة انهيار عاطفي هذا ما شعرته في المرات الأخيرة التي تابعته فيها كان بمثابة إنسان يموت بالبطيء، قامت لمياء وتحركت في الغرفة تفكر وتتذكر توقفها المفاجئ أمام منزله بينما أهله يحتفلون بزفاف أخيه الأكبر شعرت بأنه آن الأوان لعبر لأهله بأحقيته في التقدم لخطبة محبوبه كنت واقفة أتخيله موجودا إلا أنني رأيت الكثير من أهله إلا هو لم يكن موجودا إلا أن الصدف قدمت لي لحظة حلم ساطعة وفاتنة فإذ

به عائدا على دراجة يلهث فوقها، لا أعلم من أين؟ هل هو يعمل في مكان ما ويعود متأخرا آخر الليل هكذا كانت لحظة اللقاء كأنما هو لوح ثلجي وذاب فوق الدراجة ثم سقط مسرعا لا أعلم هل هو الذي يمنع الدراجة من السقوط على الأرض أم هي التي يتكأ عليها كالعكاز.

مشى خطوة وراء خطوة حتى اسند الدراجة على أحد أعمدة الفراشة وتداعى فوق الدكة الخشبية المتراصة مثل أخوتها من الدكك الخشبية لزوم ليلة حناء أخيه كنت ساعتها أتوقف محاولة أن أريه اهتمامي ولهفتي تكلم يا أقرب البشر إلى مشاعري أيها المسكين الحنون ماذا تفعل بنفسك ثم لم يكن أمامي إلا أن أتابع السير حيث عودتي من منزل عمي إلى منزلنا الجديد بمنطقة أخرى ، وهذا ما حدث من جملة أحداث أخرى رأيته فيها يختبئ مرتبكا خلف صور سطوح منزله في محاولة لاستعادة لحظة الرؤية التي تشبع عاطفته بينما الشمس تلفح وجهه ..ينز العرق وكأنما هي دموع ودماء أحسست بأن عليّ أن أزعق وفعلا زعقت: أهو.

فرفعن رفيقاتي وجوههن إلى أعلى لكن لم يجدن أحد، وظنوا بي أنني أصبحت أتخيله فضحكن ومنهن أنت يا يسرية كأنما تتلذذين بعذابي ماذا بيدي يا يسرية ؟ لقد ارتديت الحجاب يا يسرية فترة ربما تدينه يمنعه من مصارحة أهله أن من عليها العين متبرجة ترتدي البنطال الجينز الضيق والبلوذة المجسمة هكذا فكرت وقتها لكن لا فائدة حاولت ، دليني يا يسرية ماذا أفعل ؟

عودي للمرور من الشارع حتى يطمئن إلى أنه لن يفتقدك

لكن مرور لمياء لم يعد العاشق إلى المحل حتى أنها بكت أمام والدها نادمة تريد منه أن يفعل شيء ، لكن يا بنتي ...

ماما

نظرت الأم لإبنتها لمياء ونظرت مباشرة إلى الأب حتى استقر الرأي على أن يحاول لربما يكون في الإمكان نجدة هذا العاشق من الكآبة القاتلة حتى انه جمع عنه المعلومات الكافية ولم يكتفي حتى وصل إلى بيته وطرق الباب فتحت والدته سألها عن حامد برر سؤاله بأنه اشترى منه بضائع وأراد أن يرد مبالغها له تحديدا إن لم تكن قد اقتنعت بما قاله الرجل لكنها لم تمانع وأبلغت ابنها حامد حتى خرج حاملا وجها مرتبكا ولحظة اشراق بعدما تأمل ما ورثته لمياء من هذا الأب فوجد ملامحا مشتركة وهدوء ما تسلل إلى أعصابه فصار هاديء مثله ، كلمه في أنه يفتقد معاملته الكريمة ونظرته البشوشة ، وأن أخيه ..ولا أي أحد يمكن أن يسد مكانه في المحل وأنه كلما اشترى من المحل يسأل عن سبب ابتعاده ، هل نحن أغضبناك يا جميل القلب ، لا – أبدا ..

رد حامد بارتباك ولم يعط الفرصة للرجل للاسترسال بل كان في حالة من الضمور النفسي التي لم تمكن الرجل من الافصاح عن شيء يصعب ايصاله إلا إذا كان حامد مستعدا له ، فما كان من الرجل إلا أن انصرف متخاذلا محرجا من موقف

حامد وكنت بين الحين والحين أحاول أن أتابع تلك القصة العاطفية التي نمت في بيتنا لكن انصراف اختي إلى تجارب أخرى وما عكفت على ردمه السنين الطوال حتى رأيت وأنا أرافق أبي حامد بعد أن تزوج يحمل طفلة لا يزيد عمرها عن أشهر قليلة يقبلها كثيرا ويسألها عن حبها له ..تحبينني يا لمياء ثم يرد على ضحكتها بحبك يا لمياء .